

'Language is a Human Limitation'

TRANSLATION MONITOR

Volume 3, Issue 01, April 2006

"All Tragedy is the Failure of Communication" — John Wilson (1956)

Arabic Media and Translation in the Greater Middle Schism
Language, Culture and the Greener Pastures Phenomenon

By Ali Darwish

الإعلام العربي والترجمة في الشرخ الأوسط الكبير: اللغة والحضارة وظاهرة المرج الأخضر¹

بقلم علي درويش

من المسلّمات في العلوم الاجتماعية والسياسية والإدارية أن التطور لا يحدث بالإزعان والمسكنة والاستكانة إلى أوضاع راهنة وبالقبول بحلول وسط. بل تنتهياً أسباب التطور برفض الممارسات البالية والمتحجرة والمتعجرة، وبالتطلع دائماً بعين متجددة إلى المستقبل. في تاريخ البشرية شواهد وأدلة كثيرة على أن التطور والتغيير لا يكونان بغير ذلك. فالطاقة التي تدفع الأمم العظيمة قدماً لا يولدها صغار النفوس والخائبون والقانعون بالعيش بين الحفر، والذين يختبئون في جحورهم، بل أصحاب الرؤية الواضحة الذين يدركون أن التقدم لا يكون بالوقوف وشفع الكفوف ولطم الخدود، والتقوقع والجمود، وبالتملق والنفاق والمداهنة. تلك هي حال الأنبياء والرسل والعباقرة والمفكرين والفلاسفة والرؤاد منذ فجر التاريخ. تختلف الأدوار وتتفاوت حتماً في عظمها وأهميتها ومراتبها ووقوعها وأثرها. ولكنها في جوهرها تتلخص كلها في رفض الانصياع إلى أنماط وممارسات سائدة. (رب! إن الناس ضلوا وغووا ورأوا في الشمس رأي الخاسرين)².

لذلك تجد الأنظمة الديمقراطية الحق تقوم على أساس مفهوم الحرية الفكرية والمعارضة والمشورة والنقد والتحليل والتفنيد الذي يكفل حيوية الجدل ويهيئ الأرضية الخصبة للخلق والإبداع والتطور، بحيث يتسع الأفق الفكري للأفراد والمجتمع على حد سواء. ورغم أن طبيعة النفس البشرية تأنف من

¹ كتبت في ١٢ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٥ وأنجزت في نيسان / أبريل ٢٠٠٦.

² للشاعر حافظ إبراهيم.

النقد والانتقاد ولا تحب سوى المديح والثناء والإطراء، فأن الأدمغة والعقول المتطورة والمنفتحة تعي تماماً فائدة النقد والانتقاد، رغم موجة الارتداد والانحسار والرجعية الأنية التي يشهدها العالم حالياً. ولا يسلم من ذلك أحد مهما تبلغ مكانته في المجتمع. فتجد رجالات الدولة والسياسة والفكر والفن والأدب في المجتمعات المتحضرة والمتقدمة يوضعون تحت مجهر النقاد والمحللين دائماً وباستمرار، سواء أكان لذلك نتائج مرجوة أم لم يكن، أو كان جدياً وجوهرياً أم صورياً وشكلياً، أو ضمن شروط صلاحية محددة تكفل نتيجة معينة. وتقوم هيئات مراقبة أو "عيون ساهرة" — أو كما يُطلقُ عليها بالإنجليزية (watchdog)، أي "كلب حراسة"، إذا اعتمدنا الترجمة الحرفية للمصطلح على طريقة المدرسة الطهطاوية في الترجمة الحرفية — لا علاقة لها بأجهزة المخابرات والتنصت والتجسس والقمع والاستبداد، غايتها مراقبة ممارسات المؤسسات ورصد سلوك المسؤولين وذوي الشأن والفعل، لا الناس العاديين، بحيث تضمن بقاء هؤلاء على الصراط المستقيم، وتكفل تحسين المستويات والمعايير ضمن الأطر الضابطة والضامنة للقيم الاجتماعية والحضارية والإدارية وغيرها، وتحفظ الصالح العام. ذلك أن النفس أمارة بالسوء، ومهما يبلغ العقل من العقلانية والتنور في بعض النواحي والمناحي، فإنه يبقى في مكانه ومكوناته عقلاً متحجراً ومناقفاً ومتزمتاً ومتعصباً، كما يحدث في بعض الجامعات والمعاهد التي تفاخر بالانفتاح والتنور والعقلانية والرشاد وتشجع الآراء والنظريات المغايرة، حتى لتجدن الواحد منهم يستغل موقعه لمآربه الشخصية ونظرياته الفلسفية وتوجهاته السياسية، والويل كل الويل لمن يخالفه في الرأي والمبدأ والرؤية. وعندما تتقاطع المصالح الشخصية مع المصالح العامة، والأكاديمية والسياسة، ينحسر ستار النفاق عن أولئك المتنورين، وتسقط الأقنعة والبراقع، وتظهر النعرات والعصبيات المتأصلة والأحقاد الدفينة، لاسيما إذا تعارضت المفاهيم واختلفت الرؤى وتباينت التوجهات! ولطالما قام الإعلام في الغرب بجزء كبير من هذه المهمة والواجب الوطني والاجتماعي إلى أن حسم أمره، فإما أنت تكون معنا أو ضدنا، فانحسار الأدمغة وتقلصها يستوجبان تبسيط الأمور.

أما نحن، فرغم أننا لا نختلف عنهم كثيراً من حيث النفاق والانغلاق الفكري، فإننا أكثر شفافية ووضوحاً في التعبير عن هذا النفاق والتخلف، فنكره النقد ونمقته ونمج الانتقاد ونرفضه مهما يكن ومن أي صوب أتى، إلا إذا جاء من الأسياد، فنخر لهم ساجدين. بل نتعدى وتتجاوز ذلك كله إلى كبت وخنق الآراء والفكر³ والأصوات المناهضة والمعارضة والمنتقدة، ونحتكر وسائل التعبير لأننا نخاف أن يكون بيننا من يكشف عيوبنا ويظهر عريننا، ذلك لأننا نبني على أسس واهية وأوهام بالية وقواعد متهترئة ونتمسك ونتشبث بمواقفنا المتحجرة وفكرنا ومناهجنا ومسالكننا، ولا نحاول أن نتقدم شبراً واحداً، ونحن نسعى إلى التغيير والتطوير! بل نضع رؤوسنا في الرمال ونشرع دابرتنا للرياح والأعاصير. وما لا تراه العين لا يدركه البصر وما لا يدركه البصر لا تدركه البصيرة. وكل شيء على خير ما يرام. واصبحوا بخير! فإذا ما سمعنا نقداً أو انتقاداً تشددنا وتزمتنا وتصلبنا وتمسكنا بما

³ فِكر، مفرداً فكرة. وجمعها على أفكار خطأ شائع.

لدينا من عيوب ومثالب، ولم نستطع كسر الجمود والقوالب، وحالنا كحال الذي "نكايه بالطهارة شخ بلباسه"، كما يقول المثل الشعبي اللبناني، بما يدل على نضجنا ورزانة عقولنا ونزاهة أنفسنا، حتى في ما ندعيه من اعتناق للديمقراطية وانتصار للحرية وقبول للرأي الآخر. ولكن التقدم بجله كما قال السياسي الأميركي المفكر أدلاي ستيفنسن في القرن الغابر قد نجم عن أفراد اتخذوا مواقف لم تكن ذات شعبية!

ومما لا شك فيه أن اللغة تشكل محور التفاهم بين أبناء الشعب الواحد وبين الشعوب والأمم، لذا تدعو الحاجة دائماً إلى الوضوح والدقة في التواصل وفي استخدام اللغة، ذلك أن التفاهم يستدعي معرفة ما يعنيه الناس بكلامهم والوقوف على مقاصده، سواء أكان ذلك بين أبناء الوطن الواحد أو بين الشعوب والأمم. ولكننا نعيش في عالم ما تزال فيه الشعوب والأمم غير قادرة على فهم بعضها بعضاً وغير راغبة في ذلك، رغم المنجزات الرائعة في مجال الاتصالات وتقنيات المعلومات ووسائل الإعلام الحديثة. ولقد علق الباحث البريطاني جون ويلسون في أوائل النصف الثاني من القرن المنصرم وإبان الحرب الباردة على هذا الوضع الذي ما يزال يستشري في نفوس البشر إلى يومنا هذا، قائلاً:

"نحن نعيش في عالم تعجز فيه الأمم عن التفاهم ولا ترغب فيه، بسبب الجهل والعداء الفطري على حد سواء. فهم يستخدمون الكلمات كشعارات ورايات، ونادراً ما يتوقفون لفهم معانيها وحقيقتها أو تقويمها. إن من الواضح، على سبيل المثال، أن كلمتي "الديمقراطية" و"الحرية" تعنيان أشياء مختلفة للعالم الغربي وروسيا السوفيتية؛ ورغم ذلك فإن أيّاً من الجانبين لم يناقش قط هذين المثالين الأعلى على أساس لغوي. في مثل هذه المسائل الأساس، يكون التواصل في أسوأ حالاته حين تكون الحاجة إليه أدهى. وعندما تسود هذه الحال يصبح من واجب جميع أولئك الذين يرغبون في السلام والتعاون بين الأمم اكتساب القدرة على التعاطي مع اللغة وفهمها بما يليق وينبغي.

ضمن الدولة الديمقراطية، ينبغي أن يكون هذا الواجب أكثر وضوحاً لكل مواطن فرد. ذلك أن لكل مواطن القوة على الإضافة إلى فهمنا أو الإضافة إلى سوء فهمنا للمشكلات التي تواجهنا؛ ففوائد نظام التواصل الجيد ومخاطر النظام الرديء تزداد ازدياداً عظيماً. وباستطاعتنا كلنا إما أن نساهم في مخزوننا المشترك للحقائق واستخدامنا المنطقي لها أو أن نضخم الأكاذيب والجاذبية الحمقاء للدعاية والإعلانات والغوغائية."⁴

⁴ Wilson, John (1960). Language and the Pursuit of Truth, Cambridge University Press: London.

Copyright © 2005 – 2006 Ali Darwish.

Translation Monitor™ is a free, independent electronic bulletin published by Ali Darwish.
All Rights Reserved.

وقد لا نبتعد كثيراً عن جادة الصواب في تحليلنا لمجريات الأحداث الأخيرة في البلدان العربية، لاسيما في لبنان، وفي العالم أجمع، إذا استنتجنا بأن الخلافات السياسية سببها الاختلافات في المفاهيم المبنية على ترجمات مختلفة من مصادر متنوعة، سواء أكان ذلك عبر اجتهادات شخصية أم مشاورات ودراسات استشارية، قد توحى لبعضهم أموراً شريرة ومخططات مبيتة (وقد يكون الأمر كذلك في بعض جوانبه ونتائجه). فمن مفهوم الشرعية الدولية إلى المنظومة الدفاعية وغيرها من ملفات، يَظْهَرُ قاسمٌ مشتركٌ فيها كلها، ألا وهو الترجمة. ولكن لا يكفي أن يُصار إلى نقل المصطلح وترك المفهوم في مصدره. ولا يكفي تبنيه وترجمته دون تعريف واضح له، كما يحدث مراراً وتكراراً.

لا شك في أن الإعلام بشكل عام، والإعلام العربي "الديمقراطي" بشكل خاص، يقوم بدور مهم جداً في بلورة المفاهيم وإيضاح الحقائق، أو طمسها وتزييفها وتضليلها، إما عمداً تنفيذاً لسياسات غير معلنة أو عفواً وبغير قصد تطبيقاً لممارسات جاهلة بالية خرقاء، وفي تكريس عولمة حضارة أحادية تسعى إلى السيطرة على العالم بأجمله من خلال مستنسخات حضارية مستلبة الإرادة والشخصية القومية والوطنية والعمق التاريخي والفكري. ومن المضحك أن نسمع مدير إحدى الفضائيات المستنسخة يقول إن الفضائية لا تسخر لأغراض سياسية أو مآرب شخصية. وما نراه من نتاجهم وبرامجهم وما يقدمونه، إما بتوجيهات مباشرة أو إيحائية وإيمائية من أسيادهم أو تزلفاً وتملقاً إليهم، لا يدل إلا على توجهات وسياسات معينة ظاهرها حميد رغم الفوضى التي تعتريه وباطنها لا يخفى على مدقق ومحلل ومقارن، سواء أكان ذلك في اختيار المواضيع "المتوازنة" أم في طريقة عرضها وطرحها وإخراجها، أو في السياسة التحريرية واللغوية التي يلتزمون بها ويبدلون كلاً ما تعرض الإعلام بشكل عام للنقد والانتقاد لممارساته المتدنية والمستلبة باللغات الأخرى، أو إلى ضغوط سياسية وحكومية ودعائية، ثم ينقلبون إلى سابق عهدهم وينكفئون انكفاء الذنب على كلبه. فلا يكفي أن ينتهكوا عرض اللغة عبر أبواق إعلامية أمية، بل يجب عليهم أيضاً أن يفرضوا أساليبهم اللغوية الحمقاء التي لا تنم إلا عن افتقارهم إلى المعرفة والعلم وتضخم بروتات أدمغتهم المريضة التي لا تدرك خطورة أعمالهم الحمقاء، أو ربما تدركها وتعيها جيداً. فهناك طائفة ما انفكت تسعى جاهدة إلى إحداث هوة بين العربية المعاصرة والعربية الفصيحة بغية فصل حاضر الأمة عن ماضيها، ذلك أنك إذا فصلت البنت عن أمها جاز لك أن تفعل بها وبأمها ما تشاء. جاءنا التقرير الآتي:

Unprecedented	<p>في مؤتمر صحفي عقده بعد اجتماع مطول غير مسبق برئيس الوزراء، ثمن المبعوث الدولي عالياً الجهود المبذولة، قائلاً إن الكرة الآن في ملعب المعارضة، ولكنها في التحليل النهائي قد تتوصل إلى ديل تحت الطاولة أو ربما تتم عملية اغتيال عملية المصالحة الوطنية بدم بارد من قبل أطراف لا تريد تسوية سلمية في البلاد. عندها تعود الأمور إلى المربع الأول. ولكن هذا هو رأس جبل الجليد. قد تخرج الأمور عن السيطرة وتصبح ككرة الثلج، وعلى الأطراف المتنازعة أن تكسر الجليد في الأيام القليلة القادمة حتى تتجنب مشكلة الفيول والترايسفير والأكسيه إلى موارد الدولة مرة واحدة وإلى الأبد. وقدم المبعوث بنك أهداف لجهة حل الأزمة المتنامية. وحذر من مغبة رمي الطفل مع ماء الغسيل. وتأتي زيارة المبعوث على خلفية مؤتمر التعاون الدولي "نحو مقاربة جديدة لحل الخلافات والنزاعات الدولية" الذي عقد في مدريد الأسبوع الفائت.</p>	Highly appreciated
In the final analysis		The ball in the opposition's court.
In cold blood by...		Under-the-counter deal.
To go back to square one!		Tip of the iceberg
Get out of control		Break the ice
Once and for all.		Snowball
To throw the baby out with the bath water		Growing
Bank of objectives		Approach

The next few days.

On the back of...

العربية المعاصرة

وفي خبر عاجل: الكونغرس الأمريكي يتهم بوش بأنه البطة العرجاء. أفاد مراسلنا من أمريكا بأن العرب في أمريكا يشعرون بأنهم كالخروف الأسود.



-- ماء! ماء!

-- واء واء!

-- إلى أين تذهب أيها الخروف الأسود؟

-- ماء! ماء! لا أعرف أيتها البطة العرجاء، ولكنني أريد أن أرحل عن هذا المكان المليء بمهاييل الإعلام والترجمة. يا أختي! يا أختي! صارت صوفتي حمراء وصرت كبش المحرقة في كل خبر وكل نشرة!

-- واء! واء! حالك ليس أفضل من حالي يا خروف! لقد أصبحت طرطور وفاشوش الجميع. لقد زلت قدمي فصرت مضرب الأمثال عند هؤلاء الحمقى.

-- ماء! ماء! فلنهاجر إلى أستراليا!

-- واء! واء! ولكن حذار فقد تعود إلى هنا على متن باخرة للمواشي وتحتجز قبالة الشاطئ!

-- ماء! ماء! لا عليك يا صديقتي فقد أعود إلى هنا بجواز سفر خواجه!

استمع إليها على هذا الرابط.

http://www.translocutions.com/translation/gallery/blacksheep_0002.wmv

ولطالما افتقر العرب إلى استراتيجيات لغوية وحضارية واضحة ومخططات مركزية للنهوض بهذه الأمة العائرة، إلا فيما كان يفرق ولا يوحد ويشنت ولا يجمع ويعزل ولا يدمج، فتجد دولاً عربية تمارس سياسات ثنائية اللغة في المناهج التعليمية تفرز مجموعات تنتمي لغوياً وحضارياً إلى لغتين أجنبيتين مختلفتين، تماماً كما حدث في لبنان منذ "الاستقلال" الأول، فتجد شريحة من الشعب لغتها الثانية (أو ربما الأولى) الفرنسية، وشريحة أخرى لغتها الثانية الإنجليزية. فمع تحول الولاء للقوى الأجنبية والتدخل الأميركي في لبنان في بداية الخمسينيات، حتى نبقى في المثل ذاته، أدخلت اللغة الإنجليزية على المناهج التعليمية في بعض المدارس الحكومية والمدارس الخيرية على أسس طائفية وطبقية واجتماعية، وسرعان ما انقسم الشعب لغوياً. ودون تبسيط الأمور، لَمَّا كان للغة الإنجليزية مصدران حضاريان، بريطانيا وأميركا، وكان للفرنسية مصدر واحد هو فرنسا الأم الحنون، فقد ساهم ذلك في الانتماء الثقافي لدى المتحدثين باللغة الفرنسية إلى الثقافة الفرنسية، أما من تحدث الإنجليزية فلم تكن لديه قبلة استعمارية واحدة فكان الانتماء الثقافي لدى المتحدثين بالإنجليزية أضعف. ولنا في هذا حديث آخر.

ويتراءى للمراقب أن الإعلام العربي قد تبني نظرية الجراحة الجذرية في تعاطيه مع الوضع الراهن، ومبدأ "الفوضى الخلاقة"، على خطى أسياده الكبار، في تحقيق تغيير جوهري في الحياة الاجتماعية والفكرية والسياسية وفي ملامح الشخصية العربية. وقد يكون هذا الحراك تبعاً لاستراتيجية محددة يمكن وصفها باستراتيجية الإجفال (stampede strategy)، التي تهدف إلى النيل من الثوابت كلها وتقويضها في جميع النواحي وشتى المناحي حتى لا يبقى ما هو أصيل وثابت ومعروف، والتفتت الساق بالساق. وعندما تضع قبلة الشعوب وتتعل بوصولها يصبح من السهل استنساخها استنساخاً عولمياً.

-- "إلى أين تخرجين في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟"

-- "Leave me alone! I'm sixteen!"

قالت له ذلك وصفقت الباب خلفها وخرجت ولم تعد! لقد ماتت أمها، وهي في التاسعة من عمرها، فكَرَس أبوها معظم وقته يرعاها ويعتني بها ويعلمها. فما أن بلغت السادسة عشرة من عمرها حتى اكتشفت أن لها حقوقاً فتمردت عليه وعلى المجتمع بأسره، وانجرفت في مرحلة طائشة من المراهقة، وشبت عن الطوق وضاعت. مات أبوها حسرة عليها. ولَمَّا بلغت رشدها كانت في حالة يرثى لها: أدمنت المخدرات وأتلف التدخين رتبتها وأصابها السل والسرطان والتهاب الكبد والأود، واعتراها الخدر والذهول، فما لبث أن ماتت ودفنت في قبر مجهول بلا شاهد. جاءت إلى الدنيا فملأتها ضجيجاً وصخباً وفرحاً سرعان ما تحول إلى ألم وحزن ومأساة وكابوس، وماتت وحيدة في دار للمشردين. قبل أن تموت كتبت العبارة الآتية بيد مرتعشة:

Luckier than most, less unfortunate than many!

أكثرُ حظاً من معظمهم وأقلُّ عِثراً من أكثرهم!

ولات ساعة مندم! هكذا ينجرف العالم العربي في مرحلة المراهقة الفكرية والاجتماعية والسياسية والحضارية، بين شد وجذب بين قوالب متحجرة ونزعة فطرية للتجديد والتغيير والانعقاد والتحرر من نظم وممارسات بالية، حتى يبلغ سن الرشد. ولكنه في غياب المنهجيات الواعية والاستراتيجيات الهادفة والمركزة، كتلك الفتاة ومثلها من المغتربين الذين يغادرون مجتمعاتهم التي تحكمها ضوابط اجتماعية معينة ونظم أخلاقية خاصة وقيم ثابتة، ما أن تطأ أقدامهم أرضاً غريبة حتى يصيبهم الضياع والفوضى، فينبذون كل ما هو "متخلف" و"جامد" و"محنط" و"خشبي" ويحد من حريتهم وحركتهم وإبداعهم، ويستوردون الغريب والدخيل الذي يحتاج إلى عقاير مضادات للرفض، فيحاول هذا الجسم العليل رفضها، ولكنه لم يمت بعد، ولم يدفن في "مقبرة جماعية". غير أن أدمغة المفكرين والإعلاميين والمراهقين السياسيين من الواضح أنها دفنت في قبور جماعية. ففي طيش مراهقتهم راحوا كمدمني المخدرات والمجازيب يترجمون اللفظ الإنجليزي (mass grave) بـ (مقبرة جماعية)، رغم أن اللفظ (grave) يعني (القبر). فهل رأيتم مقبرة غير جماعية؟ جاء في اصطلاح اللغة أن:

المَقْبِرَة بفتح الباء وضمها هي مُجْتَمَعُ القُبُورِ وموضع القُبُورِ. المَقْبِرَة
والمَقْبِرَة والمَقْبِرَة والمَقْبِرَة موضع القبور. والقَبْرُ مدفن الإنسان، وجمعه
قُبُور.

وليس موضع قبر واحد. ولكن يبدو أن العرب في كل مكان صاروا من الأثرياء والأغنياء فصارت المقابر تفرد للميت الواحد: هنا يرقد معالي فلان وصاحب السلطان بسلام واطمئنان، طيب الله ثراه وبشيش طوبته وبارك فيها. فتدعو الحاجة إلى التمييز بين "المقبرة الفردية" و"المقبرة الجماعية"، في بلاهة محزنة تتجلى فيها أجود العقول العربية وأشدّها نكاءً ووعياً.

فحص الخبراء مقبرة جماعية في جنوب العراق يعتقد أنها تحتوي على
جثث ١٥٠٠ من الأكراد أغلبهم من النساء والأطفال، تمّ قتلهم في عقد
الثمانينات من القرن الماضي.

أن السلطات اللبنانية تمكنت حتى الآن من انتشال ٢٠ جثة من مقبرة
جماعية عثر عليها اليوم في منطقة سهل البقاع اللبناني قرب بلدة عنجر
التي تبعد ثلاثة كيلومترات من الحدود السورية.

الشرطة تحقق لكشف هوية جثث عثر عليها في مقبرة جماعية في عدن.

وكلها في الواقع قبور جماعية. ثم إن لفظ المقبرة في الاستعمال الوظيفي للكلمة يدل على موضع الدفن الشرعي. أما من دفن وقبر على عجل دون شاهد يشهد بمكان قبره فلا يدفن في مقبرة، بل يُرمى في حفرة وقبر واحد. فكيف يكون ذلك مقبرة، بل كيف يكون مقبرة جماعية؟

وفي ظل هذه الفوضى والتخبط، احتفل العالم مؤخراً بذكرى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. وفي هذه المناسبة تجلى الإعلام العربي في أنصع حلله في طرائق التعبير وانتقاء الكلمات وتخير الألفاظ والمصطلحات المنقولة من شرعة حقوق الإنسان والمواثيق الدولية ومسارد الأمم المتحدة وغيرها من منظمات حقوقية تعنى بشؤون الإنسان أينما كان. فيتكرر مسلسل الترجمة الغبية التي تعودنا عليها في كل مناسبة جديدة طارئة عليهم وعلى تفكيرهم فتجدهم كالطفل الصغير الذي يحاول أن يمشي قبل أن يحبو فيجتو ويسقط في كل مرة. مهازل محزنة مضحكة يقف المرء أمامها مشدوهاً متألماً محاولاً اتقاء ذلك المرض المزمن الذي ينتشر في كل خلية من خلايا الدماغ العربي الحديث. فإذا بطغيان حماقة وجبروت الغباء وسلطان الجهل وجماح المراهقة تكسح كل ناحية من نواحي الحياة العامة والفكرية والأدبية والسياسية. فتسمعهم يقولون بكل حماقة: "المستنكفون ضميرياً"، في ترجمة هزيلة متكلفة متصنعة للتعبير الإنجليزي (conscientious objectors)، بمعنى "المعتضرون وجدانياً". ولم يدروا أن (استنكف) تعني: استكبر واستعلى، واستنكف من الشيء وعنه أنفَ وامتنع. {وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}°. فهل يلقي من يستنكف ضميرياً عذاباً أليماً؟

ولا ندري من هو ذاك الأحمق والغبي في الفضائيات العربية الذي يحدد سياساتها اللغوية، فينقل غباءه ومواقفه اللغوية الرعناء إلى المشاهدين. فبينما يصر الإعلام اللبناني المتميز باستلابه اللغوي على تسمية كوفي عنان بكووفي (بالواو المعجمة) أنان^٦، وبين العنّ والأن نصف متر واحد فقط، راحت إحدى الفضائيات المتميزة بعنجهيتها وغطرستها تسمي رئيس وكالة الطاقة الذرية المصري الأصل والنشأة والتربية (Egyptian born and bred)، محمد البرادعي، بمهامد البردأي^٧.

⁵ سورة النساء، ١٧٣.

⁶ روى لنا أحد المحررين في الصحافة المطبوعة أن الأمين العام نفسه أصر على أن ينطق الإعلام العربي اسمه بالألف المهموزة لا بالعين، لغاية في نفسه وهمز في قلبه، فما كان من إعلامنا المطيع إلا أن امتثل إلى رغبته المزعومة، على زمة الراوي. ومد متى كان الناس يتدخلون في شؤون اللغات الأخرى؟ عندما نقل الأندلسيون (Granada) إلى العربية بفرناطة، هل استشاروا أحداً، وعندما نقلوا (Toledo) بطليطلة، هل أخذوا ترخيصاً بذلك من أحد؟ جميع اللغات يُخضع أسماء الأعيان والبلدان لنظامه الصوتي إلا العرب المعاصرون المتحذلقون والمستلبون الذين ما فتئوا يصرون على القول (برلمان) بالباء المعجمة /p/. وكذا (باكستان) و(أوروبي)، ولا عيب في نطقها بالباء العربية في العربية. ولكن العيب في الإخفاق في نطقها بشكل سليم في تلك اللغات التي تحتوي على هذا الصوت. ولكنهم يتقون سخرية الجاهلين الذين إذا سمعواهم ينطقونها وفق النظام الصوتي العربي ظنوا أنهم أميون ومتخلفون. وما الأمية والتخلف إلا فيهم أنفسهم. ولكنهم قوم مستلبون.

⁷ قد يظهر هذا الأمر ضحالة المعرفة والاطلاع على مجريات الأمور وأحداث الساعة عند من ينقلون الخبر إلينا ويعدون نشرات الأخبار. يروى أيضاً أن العرب في الخليج درجوا على توظيف مترجمين باكستانيين وبنغاليين ومن جنسيات أخرى غير عربية للقيام بأعمال الترجمة، ولا عيب في ذلك. ولكن لا عجب أن يتسرب هذا النمط إلى الإعلام العربي. يحكى أن قاصياً عربياً في إحدى تلك الدول قال للترجمان الباكستاني في قضية اغتصاب ممرضة أجنبية في الثمانينات: "فاستل سكيناً من وراء ظهره وطعنه بها". فحارت عينا ذلك الترجمان المسكين ودارتا وغارتا

فغيرت اسم عائلته بلسبة لسان. فما الذي يحدث في عقول هؤلاء البشر؟ فكأن المديعة الفاضلة الوقور قد أفاقت في سرير الغريبة (بالإذن من شاعرنا الكبير) فجاءت إلى الأستاذ⁸ تسعى ولسانها ما يزال أعجمي اللكنة، أم أن المشرف العام الجديد راح يتبع سياسة لغوية جديدة معاصرة تيسر نطق الأسماء العربية للناطقين باللغة العربية. والمحزن في هذا الأمر أن الضيف الإيراني في نشرة الأخبار ذاتها نطق الاسم بطريقة سليمة، وهو الأعجمي الغريب الذي تخاف منه شريحة كبيرة من الناس في تلك المنطقة الموبوءة. وكان حرياً بتلك المديعة أن تختفي في حفرة مظلمة خجلاً وعاراً وخزياً. ولكن لا حياة لمن تنادي، فالدماغ متعطل في إجازة أبدية، فتخال المشكلة منحصرة في شابة مضللة، حتى تستمع إلى نشرة أخبار لاحقة فتدرك أن الأمر يتعدى ويتجاوز ويتخطى مديعة بائسة همها الأوحاد أن تظهر بمظهر جميل للمشاهدين، بوجه مكسو بطبقات متعددة من الطلاء والمساحيق، كنساء الغيشا اليابانيات المغشيات!

وجهك العاري..
 يخلو من القسّمات..
 كحائط الميكى..
 ومعبّد بوذي.. يحدق في الفراغ!
 وجهك العاري..
 باهت
 كطلاء المقابر،
 وموجع كجرح مناغز!
 وجهك العاري
 يخلو من التضاريس
 كصفحة الجليد
 ومصقول الحديد
 يخلو من الأحاسيس
 كلوحة زجاجية
 وحاجز من الاسمنت،
 كالسواثر الترايبية!
 وجهك العاري..
 مساحات التيه والقفز،
 صحارى تخلو من الشجر!
 وجهك العاري
 حكايات من الشجن

فكانه في سكرة الموت وامتقع وجهه فكاد يغمى عليه. فسأله القاضي: "ألا يمكنك ترجمة ما قلت؟". فأجاب الترجمان وكان على قدر من المهارة والشهرة، قائلاً: "لا يا أرباب! وهذه على نمطي. أفتعجبون لحال العربية في تلك الفضائيات؟"

⁸ Studio.

روايات من المحن
 إذ تسمع غراً من الأغرار ووصفاً من الصيصان أصفر اللون يعاني فقراً في الدم والدماغ، يردد
 الحماسة ذاتها ويكرر الغباء نفسه، فتدرك أنها سياسة تحريرية تخريبية شاملة عامة يستكين لها من لا
 يجرؤ على الاعتراض والاحتجاج في زمن الانصياع والامتثال ومن يفتقر إلى العلم والمعرفة والتفقه في
 اللغة وأساليبها وطرائقها. ثم يتربعون على عروش غرورهم وزهوهم فيتنطسون ويتبجحون بما لا
 يفقهون. فتجد الواحد منهم قد حفظ كلمة أو مصطلحاً وراح يردده ويطرحة على الناس متباهياً
 مغروراً وكأن العلم محصور في كلمة تلقفها من فم مغرور آخر أو من كتاب من الكتب من تأليف أحد
 الخواجات وظن أنه علم مشاع، وراح يمتحن الناس فيه في مجالس الأدب والعلم والعمل!

ثم تسمعهم يرددون: (حرمة التعذيب)، فيقولون ما لا يقصدون. فقد صار للتعذيب عندهم حرمة،
 ويتعين صونها والحفاظ عليها. وهم يقصدون التحريم أو الحظر. وهو من المترجم من الكلام عن
 اللغة الإنجليزية (prohibition of torture). جاء في اصطلاح اللغة:

الْحُرْمَةُ ما لا يحلُّ انتهاكُهُ والذمَّةُ والمهابةُ والنصيبُ وما وجب القيامُ به من
 حقوقِ الله تعالى وحرَمِ التفريطِ فيه. والْحُرْمَةُ ما لا يحلُّ انتهاكُهُ من عهد
 أو أمان أو كفالة أو حق أو نحو ذلك.

فكيف يكون للتعذيب حرمة؟ فكأنهم يقولون "لا يحل انتهاك التعذيب"⁹.

أجمع العلماء ومراجع التقليد على حرمة التعذيب وكذلك رفض الاعترافات
 التي تؤخذ حين التعذيب...

وفي استلابهم في الجديد من المفاهيم والمصطلحات العالمية، تجدهم يرددون ويتناقلون ويكتبون
 ويترجمون عن اللغات الأخرى، لاسيما الإنجليزية، مصطلحات مثل: حقوق الخصوصية، وقانون
 الخصوصية. الخ (privacy rights) و (privacy law or act). ثم يأتينا العلماء والعالمات يكتبون لنا
 ما يبرر هذه الاستخدامات الخرقاء، مدعين بأن اللغة العربية لا تحتوي على هذه المصطلحات لأنها
 لم تعرف تلك المفاهيم (فنحن متخلفون ما زلنا نعيش في غياهب الجهل والامية، وتلك مفاهيم
 مستعصية علينا، نحن العرب)، والمشكلة في هذا الطرح أن كل واحد منهم لا يكاد يحفظ من تراثه
 اللغوي والأدبي والمعرفي إلا القليل، ولا يحيط منه إلا بالنزر اليسير، ثم يتبجح بنظرياته ومقولاته

⁹ يبدو أنهم أخذوا من اللفظ معناه المتخصص في الشرع وطبقوه في غير محله: الحرمة في الشرع الحكم بطلب ترك فعل ينتهض فعله سبباً
 للعقاب. ولكننا لو نظرنا إلى الأصل الإنجليزي لوجدنا أن المقصود هو الحظر والتحريم. ففي مؤسسات تتوخى الوضوح والدقة والأمانة في
 النقل، يصبح المستغلق والمتخصص من الكلام هو السائد فيها.

وفرضياته عن عجز اللغة العربية وعن الجديد فيها المستورد من اللغات المتقدمة والمتطورة، دون أن يكلف نفسه مشقة البحث والتنقيب أو يتجشم لوعة النصب وامتعة التعب ولذة الخوض في عالم اللغة العربية الرهيب. ثم يتلقف الأغرار هذا الكلام السخيف الضعيف الذي لا يستند إلى حجة أو رواية. ولو أنهم أمعنوا وأنعموا النظر فيما ينقلون ويرددون بكل غباء لأدركوا أن الخصوصية في العربية هي (الحرمة). لذلك قال العرب: حرمة الموت، وحرمة البيت الخ. فالأولى أن نقول (قانون الحرمة) و(حقوق الحرمة) وما إلى ذلك. ولكن المعاصرين الرعاع قرنوا (الحرمة) بالمرأة فقط واستهانوا بها، و(ما كانت الحسنة ترفع سترها لو أن في هذي الجموع رجالا)، ثم استكبروا و"استنكفوا ضميرياً". وفي كفاحهم لتحقيق العدالة والمساواة والإخاء بين البشر، تجدهم يجمعون (الكرامة) بمعنى العزة على (كرامات)!

واستمرار الاعتداء على كرامات الناس وأعراضهم...

إذا وصل هذا الإجراء إلى كرامات الناس وقيم هذا البلاد فسنقف ضده...

فتصبح الكرامة في عرفهم كرامات وأنواعاً ودرجات وضروباً وأشكالاً لجميع المناسبات والمقامات. فكرامتك تختلف عن كرامة جارك وكرامة جارك تختلف عن كرامة أمه وأبيه. أو ربما ثمة كرامة اجتماعية وكرامة اقتصادية وكرامة دينية وكرامة وطنية وكرامة شخصية. هكذا يسهل قبول الإهانة والامتهان في سوق التجزئة والمفرق. ذلك أنك إن قسّمت المثل العليا والفضائل وفصلتها فقَدتْ أهميتها وقدسيته ووقعها وأثرها في النفوس. وقد يكون ذلك ضرباً من المبالغة. ولكنه في الأغلب ليس سوى نتاج أدمغة تعطلت بحكم التأثر باللغات الأجنبية والتقليد الأجوف. ولكن عندما يتعلق الأمر باللغات الأجنبية نجدهم بلا كرامة أو شرف، كذاك المسؤول الرسمي الذي يجلس كالقرود المشهور في مجلس الأمم المتحدة ويخاطب الجمهور باللغة الإنجليزية، واللغة العربية إحدى اللغات الرسمية الأممية. فمن أجاز له وخوله وفوضه أن يمثل بلاده بلغة أجنبية؟ لعل أمه شارلوت بروتني وأباه وليم شكسبير، ولكنه ممثل رسمي لدولة عربية، أو هكذا يُخَيَّلُ إلينا. وما انتخبوه وما رشحوه وما نصبوه ولكن شبه لهم. إن من صفات القائد والزعيم الرشيد والأسوة الحسنة ألا يتفوه إلا بلغة قومه في جميع المحافل العامة. أما إذا شاء التحدث بأية لغة في حرمة بيته وحياته الخاصة فله أن يفعل ذلك ما شاء! أم تراه لعجز وعقدة نفسية يبيغ¹⁰ كلمات وعبارات أجنبية؟

ولكنها "شريحة آخذة في التوسع"، على حد قول أحد الحمقى في الإعلام العربي الذي ما انفك ينقل إلينا الحقيقة (المسنون شريحة كبيرة آخذة في التوسع)¹¹. فهؤلاء الأعياء لا يعرفون الفرق بين (التوسع) و(الاتساع) وأن الأولى لا تعني ما يقصده النص الأصلي المترجم. ولكنهم يتوسعون في

¹⁰ كرر كالبيغاء!

¹¹ هذه ترجمتهم للجملة (The elderly constitute a rapidly expanding segment of society) أو ما شابهاها.

اللفظ وفي حماقة ولا يتسعون! ولم لا؟ فهم حساسون مرهفو الحس كالشهود "الحساسين" (sensitive witnesses)، فلم يروا من لفظ (sensitive) سوى (الحساسية)، ورقة الشعور وإثارة الأنفعال والتأثر. ما أنبلهم وأكرمهم! وعليكم أن توافروا لأولئك الشهود الحساسين المناديل الورقية والكلينكس.

في كل تحقيق جنائي، تعتبر ضرورة المعلومات التي يقدمها شهود حساسون ذوو معرفة شخصية...

شهود حساسون للتحقيق...

وفجأة في عالم المعرفة والقرية "الكونية" يصبح لكل شيء فضاء، فتجد الفضاء الأورومتوسطي، والفضاء الأوروبي والفضاء العربي والفضاء الشرق أوسطي وغير ذلك من "فضاءات"، في عالم جشع يطبق على معظم الناس فيه.

الفضاء الأوروبي

وهناك دولة كبرى أمة كبرى كتركيا تود أن تدخل إلى هذا الفضاء الأوروبي وكما تابعنا في تقريركم...

فذلك إذا تقياً أحدهم مصطلحاً جديداً في أروقة المنظمات الدولية (eurospace) كان لزاماً على أولئك الصعاليك والعضاريط أن يجتروه اجتراراً ويلوكوه لوكاً، ويقذفوا به إلينا في كل مناسبة. ولم يعد بإمكانهم القول (الحيز) أو (المجال) أو (المحيط)، فهذه من نتاج أمة متخلفة. أما (الفضاء)، (وعليك أن تلفظها بالفضاء في بعض الأنحاء)¹²، فهو نتاج أمم متقدمة ومتفوقة. وقد صار لكل شيء عندهم ثقافة. فهاهم يتحدثون عن ثقافة العنف وثقافة الإرهاب وثقافة التطرف وثقافة السجون وثقافة الثقافة وثقافة الجنون، الخ في مجون فكري ما بعده مجون. فكلما رأوا كلمة (culture) ترجموها بثقافة، وتلك هي السخافة! وما هو إلا أدب الذل والضعف والمسكنة!

وما انفكت النعوت تسبب مشكلة كبيرة وخطيرة في الإعلام العربي وما بعده حتى تلتبس المفردات وترتبك المصطلحات وتتضارب أجزاءها، بل جزئياتها كما يحلو لهم القول هذه الأيام (فالجزئية هي الجزء الصغير في نظرهم، بل هو الجزيء)، ويشوب التعبير غموض وضعف، فتسمعونهم يقولون ما لا يفقهون ويرددون بكل حماقة ووقاحة: ظاهرة غامضة، في ترجمة مستلبة للمصطلح أو العبارة

¹² في إحدى المحاضرات قامت إحدى الطالبات من بلد عزيز تشرح لنا بشق النفس الفرق بين ظرب وطرِب (أي ضرب)، وأين تضع لسانك من أسنانك حتى تحدث الصوت.

الإنجليزية (mysterious phenomenon). ولم يسأل أحدهم نفسه: إذا كانت الظاهرة ظاهرةً فكيف تكون غامضة؟ والغامض هو غير الواضح.

لقد شاء العرب في القرن التاسع عشر أن يترجموا (phenomenon) بـ (ظاهرة). وشاء المورد أن يدرج (الغامض) مقابل (mysterious)، في ترجمة حرفية للمعجم الأميركي الأحادي. ولكن غياب الأسس السليمة والطرائق الواعية في تعليم اللغات الأجنبية في البلدان العربية وتركيزها على السطحي من الكلام فيما لا يتجاوز المفردة، والنهج الفسيفسائي الذي يتبناه معظم المترجمين العرب في ترجماتهم ونقولهم يفرز هذا الصديد اللغوي.

يحتاج فعلاً إلى تكتيف البحوث حول هذه الظاهرة الغامضة و المتكررة...

انه لا يوجد تفسير لهذه الظاهرة الغامضة...

وقد حاول الكثيرون دراسة هذه الظاهرة الغامضة ابتداء...

وغالباً ما كانت الأساطير تنسب هذه الظاهرة الغامضة إلى حيوان خرافي ضخم كالنتين...

ونادراً ما كان الباحثون يعثرون على اكتشاف جديد يزيل بعضاً من الغموض الذي يحيط بهذه الظاهرة الفضاوية الغامضة...

ومع انتقال العرب من مرحلة العبودية اللغوية الفرنسية إلى مرحلة العبودية الإنجليزية تتضح معالم هذا الانتقال من خلال التعابير الجديدة التي تنتقل بحرفيتها مع كل مناسبة وحدث طارئ من احتلال إلى اغتيال فانتخابات فتحقيقات فقرارات دولية، فتجدهم يعانون التخبط ذاته الذي مر فيه أسلافهم إبان النهضة وما تلاها، حتى ترسخ تلك التعابير في وجدانهم وكأنها استنباط عبقرى، فتسمعونهم يقولون بكل سذاجة وحمق:

وأشار الأطباء إلى أنهم سيحاولون اليوم الجمعة، إفاقة شارون لتقييم حالته، فيما اتفق خبراء طبيون ومدير مستشفى هداسا على أن من غير المحتمل أن يجتاز تلك الأزمة دون تأثير كبير على قدراته...

في واشنطن يملك القدرة على إفاقة شارون وإقناعه بأن ثمن السلام غال ولا بديل...

فإذا بهم يستخدمونها بالتعدية، بدلاً من إيقاظ. فالفعل أفاق يفيق إفاقة، لازم غير متعد، بمعنى: أستيقظ، نحو: أفاق من نومه متأخراً، وأفاق الرجل من جنونه والسكران من سكرته، والمريض من مرضه. ومن المجاز، أفاق الزمان: جاء بالفرج بعد الضيق. ولكن إعلامنا العربي المخبول لا يفيق ولا يستيقظ من غبائه وجهله. والإفاقة في الاصطلاح الراحة والراحة بين حلبتين (لعل هذا ما

Copyright © 2005 – 2006 Ali Darwish.

Translation Monitor™ is a free, independent electronic bulletin published by Ali Darwish.
All Rights Reserved.

كان يفعله المحرر المستلب)! وفي قلب اللغة العربية النابض، حيث تكون المفردات حاضرة في الذهن وتنساب على الألسن، يغيب عن بالهم القول (أنعش)، نحو: يحاول الأطباء إنعاش شارون من غيبوبته. وانتعش المريض من إغماءته، وغَفَقَ المريض من غيبته، أي رجع منها (أب من الغيبة فجأة). ومن الغريب العجيب أن الإعلام العربي برمته من الخليج إلى المحيط ومن العبقري إلى العبيط يكررها دون أن يسأل أحد أو يتساءل.

ولم لا فهم جميعهم "نواة صلبة"، على حد قول أحد المراسلين نقلاً عن مسؤول أميركي يصف شخصية السجناء في أحد المعسكرات. وهي ترجمة عبيطة¹³ للتعبير الإنجليزي (hard core)، ويعني (متصلب وعنيد وشموس وحرور ومتشدد)، أو في موضع آخر (فاضح وسافر):

Hardcore (adj): (1) Intensely loyal; die-hard: a hard-core secessionist; a hard-core golfer (2) Stubbornly resistant to improvement or change: hard-core poverty. (3) Extremely graphic or explicit: hard-core pornography.

ولكنهم ارتأوا ترجمتها حرفياً بـ (نواة صلبة).

واستناداً إلى لكثير فإن هؤلاء يرون أنهم يخوضون مواجهة مع "نواة صلبة" للجريمة وأن أحداث الضواحي في الخريف الماضي تيرهن على هشاشة الوضع الأمني...

ويمثل نواة صلبة لجهد وتحرك وطني تشارك به كل الجهات المعنية، بعيداً عن الشعارات والوعود البراقة يؤسس لفعل ورؤية إستراتيجية...

وخلافاً لمبدأ الاقتصاد والإيجاز الذي تقتضيه الصحافة والإعلام والتواصل عبر مختلف الوسائل المرئية والمسموعة والمطبوعة، فإنك تجدهم يعملون في "الإطناب" والحشو فتسمعهم يقولون بكل جرأة (بضم الجيم لا فتحها كما يحلو لتلك المذيعة الفذة في إحدى الفضائيات التي يحبها الناس من الأساس):

(١) المواليد الإناث، (٢) المولودات الإناث، (٣) المواليد الذكور.

فكأنه لم يعد في العربية (مولودات) في الأولى، وكأن المولودات في الثانية تشمل المذكر والمؤنث فاقتضى التخصيص والإيضاح. وهي كلها بحكم الاستلاب والتأثر الحرفي باللغة الإنجليزية التي تظهر صيغة المذكر أو المؤنث في العبارات باعتماد المفردات المركبة، فيما يعرف بالتبيين المعجمي أو (lexical explicitization)، نحو: female births, male births، على عكس اللغة العربية التي تظهرها

¹³ العبيط: المغفل والساذج في العامية المصرية. والعبيط في الأصل الذبيحة تُنحر من غير علة وهي سميئة فتية. فأخذها أبناء النيل وأطلقوها على من يؤخذ على حين غرة والمستغفل والمغفل.

نحويًا وصرفيًا، أو ما يعرف بالتيبان الصرفي (morphological explicitization)، نحو: مولود، مولودة، إلا ما اشترك فيه المذكر والمؤنث ولم يكن له لفظ منفصل بصيغة المؤنث. أما قولهم (المولودات الإناث) فهو بدل بيان ووظيفته التوكيد. وليس في النص الأصلي أي توكيد، بل تقرير حقيقة بنعت ومنعوت، وهي (female births).

وفي هذا المنحى وفي استلابهم بالأشكال الصرفية للنصوص الأجنبية، لاسيما الإنجليزية، تجدهم ينقلون القيم والمعايير الحضارية والاجتماعية والسياسية والعقدية فتسمعهم يقولون: "الأخ غير الشقيق لصدام حسين". وهي ترجمة حرفية معجمية قاموسية للفظ الإنجليزي (half brother). فمتى ميز العرب بين الأخوة في عباراتهم وتعابيرهم اليومية؟ "اسمحوا لي أن أعرفكم بأخي غير الشقيق"، و"هذه أختي غير الشقيقة". والسؤال هنا: ما أهمية هذه المعلومة لمتلقي الخبر؟ وهل يهم المشاهد العربي أن يعرف ما إذا كان برزان التكريتي شقيق أخيه أو أخاه لغير أمه أو لغير أبيه؟ وهل إذا سمع متلقي الخبر (الأخ غير الشقيق لصدام حسين) عرف فيما إذا كان لغير أمه أو لغير أبيه؟ أم أن المشاهد يحاول أن يحدد مسألة الإرث وتوزيع الثروات؟ هذا محض هراء، يتخلص في كلمات ثلاث: حماقة وجهل وغباء، لدى الإعلام العربي الذكي نكاء البطاقة الذكية!

لقد درج الإنجليز على التمييز في كلامهم اليومي بين الأخ والأخ من أب آخر أو أم أخرى فقالوا (brother) للأول و(half brother) للثاني. وهذا جزء من حضارتهم وثقافتهم، تمامًا كما فصلت اللغة العربية أخوة الأب والأم وأخواتهما فقالت العم والخال والعمة والخالة بينما لم تر الإنجليزية حاجة إلى ذلك بحكم النظرة الاجتماعية والحضارية. ولا تلجأ اللغة الإنجليزية إلى إظهار تلك العلاقة إلا في المواقف القانونية والشرعية فتقول عندها (parental uncle) و (maternal uncle) الخ. وما زلت في انتظار الإعلام العربي لكي أرى كيف يتعامل مع (half uncle)!

ولكن تلك هي عقول مفتوحة (open minds)، كما يحلو القول لهم هذه الأيام، وليست منفتحة، تحاول عدم الخروج عن السيطرة (get out of control)، ولكن ما انفك زمام الأمر يفلت من يدها، أو من المذيعات اللواتي يتعثرن بشفاههن المتضخمة والمحشوة، فتظل الواحدة منهن تخفق في صيغة المجهول، لتعطل دماغها المفتوح، فتسمعها تقول: هل يتوقع (بفتح الياء) أن يصل الأمر إلى هذا الحد؟ فيتساءل المرء: من الذي يتوقع؟ والفيلم الذي سيعرض (بفتح الياء) في نيويورك. فماذا سيعرض الفيلم يا ترى؟ ولم يعقد المؤتمر، بدلاً من الفعل المطاوع "ينعقد" أو صيغة المجهول— إلى أن تصل إلى كلمات يستوجب نطقها فتح حروفها، نحو (هامة) (وهو الخطأ الشائع لمهمة) فتراها تطبق شفيتها على الحرف فتحالهما شفتي غول تبتلعان الأشياء (هوومة). ولا ندري من هو العبقرى الأحمق في الإعلام الذي يفرض على المذيعين والمذيعات استخدام صيغة الفعل المعلوم المتعدي في

مقام الفعل المجهول، وهل صار الافتتان بكل الأشكال الصرفية الإنجليزية ضرباً من العبقرية؟ ولا ندري من هو الأحمق والغبى الذي نصحهم بتسكين الضمير المتصل بحرف الجر، نحو، مِنْهُ و عَنْهُ ، بدلاً من مِنْهُ وَعَنْهُ. وتصبح (هل) جازمة، نحو: (هل تسمعني؟) بدلاً من (هل تسمعني؟). فتخالهم عند نطقهم له كأن أحداً أدخل أو أخرج شيئاً فجأة من فجوة أو ثلثة في عقولهم أو مكان آخر من "الثقوب السوداء" المختلفة!

فيا وَيَحْكُمُ أَبْلَى وَتَبْلَى مَحَاسِنِي وَمِنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ أُسَاتِي¹⁴

وما انفك عظاماونا الإعلاميون في بحثهم عن الحقيقة وتقديمها للمشاهدين يلقون علينا قماماتهم اللغوية التي تكشف خللاً مزمناً ضارباً في عقولهم وهم يتربعون على عروش غرورهم، فتسمعهم وما فتئوا يقيئون سخافات مخزية كالاتي:

...يقولون إن الاهتمام الزائد بالاحتفالات في السنوات الأخيرة تمثل عودة للمعتقدات الصينية القديمة والمظاهر الشعبية التراثية، منها قراءة المستقبل التي كادت تتلاشى خلال مرحلة المد الشيوعي.

تستوقفنا هنا ناحية مهمة تظهر مدى جهلهم وغبائهم في مرحلة المد الإعلامي العربي الأحمق، وهي قولهم: كادت تتلاشى...، بمعنى كادت تختفي. فالتلاشي هو في اللغة اختفاء الشيء شيئاً فشيئاً، وليس دفعة واحدة، يا كرام! فإذا قلت كادت تتلاشى فمعناه أنها لم تبدأ بعد بالاختفاء. فلمن يريد التعمق، فإن الفعل (تلاشى) هو على زنة تفاعل وهو في الصرف وزن يفيد التفاعل، وهو في الأصل فعل مركب من (لا) و (شيء): لَاشَى يُلَاشِي لَاشٍ مُلَاشَاةٌ : فلاناً اللهُ: أفناه، أي جعله لا شيء؛ لاشى ماله في المجون، و لاشى الإعلام العربي اللغة والحضارة والهوية في الاستلاب والحمافة وقصر النظر. فبينما يتلاشى عقلهم يتماهى جهلهم وغبأؤهم. فمن جديدهم ، لاسيما في بلاد الشام، استخدامهم للفعل المستحدث (تماهى)، بمعنى التطابق والتوافق وأن يصبح الشيء مع الشيء واحداً في ماهيته، في قمة الفلسفة والعمق الفكري:

الصوفي يتماهى مع الوجود والموجد فينسل من أزمة الوجود فيكون هو الوجود...

لذلك نراه يتماهى بالحزب أو بالسلطة...

والمغلوب يتماهى على غالبه إلا في مسألة واحدة

¹⁴ حافظ إبراهيم.

فكما نحت العرب في القرن المنصرم لفظ (الماهية) من (ما + هو)، استخرج الإعلام والمثقفون العرب الفعل (تماهى) من الماهية. وهذا الفعل المولد يشبه فعلاً آخر هو (مهى) الشيء يَمُهَاهُ وَيَمُهِيهِ مَهِيًا: مَوَّهَهُ. فإذا بالعرب يتحدثون لغة واضحة لا لبس فيها ولا غموض:
أضحى التماهي بديلاً عن تماهينا وماه عن موه مهيانا تماهينا
ثم يكثر استخدامهم في الآونة الأخيرة للفظ (المقاربة) فنسمع ونقرأ:

مقاربة ثقافية...

مقاربة تاريخية...

تعاطي المخدرات بين الشباب والاستجابات الناجمة عن مقاربة حقوق الإنسان...

تحليل برامج اليونيسكو المتعلقة بتطوع الشباب والاقتراحات من أجل مقاربة تجديدية لليونسكو...

مقاربة غير نمطية للإرهاب والحرب عليه...

نحو مقاربة أميركية جديدة للتعامل مع إيران...

ولان ندري ما هو قصدهم بالتحديد. هل (المقاربة) ترجمة للفظ الإنجليزي (approach)، أم مقارنة؟ فهاهم يستخدمونها أيضاً للمقاربة بين أمرين.

مقاربة بين أخلاق العرب والمسلمين في «القتال» ومواد اتفاقات «جنيف».

مقاربة ما بين الدستور السوري وبعض القوانين المحلية.. دراسة قانونية...

نعتقد أن تحقيق هذا الهدف يظل رهين اعتماد مقاربة تضامنية ناجعة على المستوى الدولي للقضاء على الفقر وتكريس العدالة والثقة المتبادلة والتعاون البناء بين سائر الدول.

وهو ما يستدعي منا السعي إلى مقاربة جديدة للتعاون الدولي تركز على مبادئ التضامن والشراكة والتكامل...

مما يدل على أنهم لا يعرفون معناها الأصلي في همجية النقل والترجمة. فقاربه مقارنةً دانا، فهل يدانون النص أو الموضوع أو غير ذلك بالمقاربة؟ أم أنهم يفلحون الموضوع فلحاً ويحرثونه حرثاً. فقارب الرجل المرأة مقارنةً وقرباً رفع رجلها للجماع! وقارب فلان فلاناً ناغاه بكلام حسن أي حادثه

به (انظر لسان العرب). فإذا كان قصدهم (approach) فقد أخفقوا في نقل المعنى واكتفوا كعادتهم بالحرفية في الترجمة. وإذا كان قصدهم بالمقاربة المدانة بين أمرين، فلم يعد (للمقارنة) مكان عندهم! فلعلهم ينشئون في الجامعات العربية اليوم أقساماً للأدب المقارب! ثم يختلفون فيما إذا كان مقارباً أو مقارباً (بفتح الراء أو كسرهما).

إن الاستخدام الأول هو من استنباط المثقفين في المغرب العربي، لاسيما العاملون في دهاليز الأمم المتحدة، وهو بتأثير اللغة الفرنسية. أما الاستخدام الثاني فهو من استحداث المثقفين في المشرق العربي. ولأن ندري مصدره. ولكن يختلط الحابل بالنابل وتضيع "الطاسة"، كما رأينا.

Decentralization and Human Rights: A Systemic Approach

اللامركزية وحقوق الإنسان: مقاربة شاملة

Decentralized Governance and a Human Rights-based Approach to Development

إدارة الحكم اللامركزي وحقوق الإنسان - مقاربة قاعدية للتنمية

لقد جرت محاولات عديدة في النصف الثاني من القرن الغابر لتبسيط و"تحديث" اللغة العربية المعاصرة. ولقد توهم بعضهم أنه توصل إلى ذلك بفضل جهود الإعلام، بل الصحافة كما كانت تسمى في تلك الفترة القاتمة من تاريخ البشرية وقبل أن تتحول إلى آخر صراعات الموسم، وتقام لها كليات الإعلام أقسامه في الجامعات المختلفة في أنحاء كثيرة من العالم، وفي الوطن العربي الذي يتوانى عن كل شيء إلا التقليد الأجوف والأعمى والأخرق. وقد حدا ذلك "التطور" بأديب مروءة إلى القول في عام ١٩٦١ في كتابه "الصحافة العربية نشأتها وتطورها"، كما سبق وأشرنا¹⁵: إن الأسلوب السهل المشرف الذي وصلنا إليه اليوم في الكتابة بلغتنا العربية، لا يعود الفضل فيه إلى معلمي اللغة في المدارس والكليات، ولا يعود الفضل فيه إلى الكتاب والأدباء القدامى، بل الفضل الأول في هذا الأسلوب يعود إلى الصحافة اليوم". ولكن الواقع المرير هو أن هذا التغيير الذي طرأ على اللغة العربية، سواء أكان ذلك إيجابياً (كما يتوهم كثيرهم) أم سلبياً، كان نتيجة الاستلاب باللغات الأجنبية وتتبع حروفها وألفاظها وتعابيرها ونقلها بصورة حرفية من الحرف إلى الكلمة إلى الجملة فالفقرة، وما اشتملت عليه فنون الكتابة من محسنات بلاغية وبديعية. فباعتماد صحافيي أمس وإعلاميي اليوم نهج الترجمة الحرفية تكون النتيجة الحتمية هي التبسيط في اللغة، ذلك أن تعقيد الكلام والإنشاء هو ميزة من ميزات الأسلوب الذي يعتمد أساليب اللغة ذاتها في التعبير، فتتأصل المفردات والعبارات

¹⁵ انظر مقالة "كيف أحبط المترجمون العرب حرب أميركا على الإرهاب الدولي"، علي درويش (٢٠٠٤)، في موقع الترجمان على شبكة الإنترنت www.at-turjuman.com، وكذلك في كتاب أزمة اللغة والترجمة والهوية (٢٠٠٥)، للمؤلف.

وتصبح نموذجاً يحتذيه الناشئة والأجيال جيلاً بعد جيلاً فيفقد جدته ووقعه بفقدان العبقرية اللغوية والتأليفية، فيجمد في مكانه ويتحول إلى قوالب مصبوبة و"كليشيات" خائبة. والترجمة بطبيعتها تفكيكية تبسيطية، لاسيما في المستوى البدائي والأولي. ومن الطبيعي أن تكون نتيجة النقل الحرفي التبسيط. وليس التبسيط حكماً أو ضرورة هو الوضوح والتبليغ. ولكنهم توهموا ذلك. ورحم حافظ إبراهيم حين قال على لسان لغة الضاد:

أَرَى لِرِجَالِ الْغَرْبِ عِزًّا وَمِنَعَةً	وَكَمْ عَزْرٌ أَقْوَامٌ بَعِزُّ لُغَاتِ
أَتَوَا أَهْلَهُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ تَفَنُّنًا	فِيَا لَيْسَتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ
أَيُّطْرِبُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ نَاعِبٌ	يُنَادِي بُوَادِي فِي رَبِيعِ حَيَاتِي



جميع حقوق الطبع والتأليف محفوظة للمؤلف

Copyright © 2005 – 2006 Ali Darwish.
Translation Monitor™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish.
All Rights Reserved.

This publication is protected by copyright and intellectual property laws and must be treated like any other publication. No part of this publication may be copied, duplicated, or reproduced, in part or in whole, by any means (except for bona fide study purposes in accordance with the copyright laws) without the prior consent of the Author.

Copyright © 2005 – 2006 Ali Darwish.
Translation Monitor™ is a free, independent electronic bulletin published by Ali Darwish.
All Rights Reserved.